ماذا بعد الحج؟

إعداد

جمعية خدمة المحتوى الإسلامي باللغات

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه تُغفر الذنوب وتُرفع الدرجات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الحج ركنًا عظيمًا من أركان دينه، وموسمًا للتوبة والإنابة وتزكية النفوس، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، علّم أمته مناسك الحج بقوله وفعله، وترك لهم هديًا مباركًا يصلح القلوب والحياة، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الحجاج الكرام، يا من أكرمكم الله بزيارة بيته الحرام، والوقوف بعرفة، وأداء المناسك التي تقر بها العيون، اعلموا أن الحج ليس رحلة تنتهي بانقضاء أيامها، بل هو بداية جديدة مع الله، وعهد متجدد على الطاعة والاستقامة.

لقد وقف النبي ﷺ في حجة الوداع معلّمًا وموجّهًا وناصحًا، فكانت كلماته منهج حياة للأمة كلها. ومن هنا، فإن أعظم ما ينبغي للحاج بعد عودته أن يحافظ على أثر الحج في قلبه وسلوكه وعبادته ومعاملاته.

وإليكم هذه الوصايا المقتبسة من هدي النبي ﷺ في حجه وخطبته،

لتكون لكم نوراً يضيء طريقكم بعد العودة إلى بلادكم.

١- التوحيد أصل الحج وأساس حياة المسلم:

في الحج رددتم في تلبيتكم: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك". وهذه الكلمات ليست شعارًا مؤقتًا في أيام الحج، بل هي إعلان إيمان ومنهج حياة. فالحاج بعد الحج يحافظ على توحيده ويسعى لتحقيقه وترسيخه، ويجعل عبادته ودعاءه ورجاءه واستغاثته وخوفه لله وحده، ويجتهد أن تكون حياته كلها قائمة على الإخلاص لله والمتابعة لهدي رسوله ﷺ.

فكما أخلص الحاج لله في المشاعر المقدسة، ينبغي أن يظل مخلصًا له في كل مكان وزمان، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

٢- شكر نعمة الحج بالقلب والقول والعمل:

من أعظم ما يعود به الحاج من حجه: شكر الله تعالى على هذه النعمة الجليلة. فقد يسّر الله له الوصول إلى بيته الحرام، وأعانه على أداء المناسك، بينما لم يتيسر ذلك لكثير من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ...﴾ [النحل: ٥٣].

وشكر نعمة الحج لا يكون باللسان فقط، بل يظهر في صلاح القلب، واستقامة العمل، وحسن الخلق، والحرص على الطاعة بعد الرجوع. فمن شُكرِ نعمة الحج أن يحفظ الحاج على ما فتح الله له من أبواب الخير، وأن يجعل هذه النعمة سببًا لمزيد من القرب من الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿...اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

٣- أهمية قبول العمل:

أيها الحاج: ليس الشأن أن يؤدي الإنسان العبادة فحسب، بل الشأن أن تُقبل عند الله، قال سبحانه: ﴿...إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. ولذلك كان الصالحون من سلفنا يخافون على أعمالهم، ويسألون الله قبولها، مع اجتهادهم في أدائها على الوجه المشروع.

فالحاج الموفق هو الذي يرجع من حجه بقلبٍ أكثرَ صفاء، ونفس أكثر خضوعًا، وسلوك أكثر استقامة. ويرى الناس أثر الحج في صلاته، وصدقه، وأمانته، وبره، وتعامله مع أهله والناس.

٤- من علامات المؤمن الصادق:

من صفات المؤمن الصادق أنه يعمل الصالحات ويحسن الظن بربه، ومع ذلك لا يغتر بعمله، بل يسأل الله القبول ويخاف التقصير.

قال الله تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ

وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

وقد سألت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما النبي ﷺ عن هؤلاء، قائلة: يا رسول الله، أهو الرجل يزني ويسرق؟ فأجابها النبي ﷺ بوضوح قائلاً: "لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا تُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" رواه الترمذي.

فليحذر الحاج من الاغترار بما قدّم من عمل، وليكن حاله دائماً كحال أولئك الأخيار، يحسن الظن بربه، ويتبع إحسانه بالخوف من رد العمل، وليكن دائم الدعاء أن يتقبل الله منه، وأن يرزقه الثبات بعد الحج.

٥- حرمة الدماء والأموال والأعراض:

لقد رفع النبي ﷺ صوته في حجة الوداع قائلاً: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» رواه البخاري ومسلم.

وهذه الوصية العظيمة تذكّر الحاج بأن أثر الحج لا يظهر في العبادة وحدها، بل يظهر كذلك في الكف عن ظلم الناس، وحفظ الحقوق، وترك الغيبة، وصيانة الأموال، والبعد عن الأذى.

فمن رجع من الحج، فليكن أكثر رحمة وعدلًا وأمانة، وأبعد عن

الخصومة والاعتداء والظلم.

٦- نبذ الجاهلية والتعصب:

أعلن النبي ﷺ في عرفات: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ» رواه مسلم.

الحج يجمع المسلمين من شتى الأجناس واللغات والبلدان، في لباس واحد، ونداء واحد، وعبادة واحدة، قال الله تعالى: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا المشهد العظيم يربي المسلم على الأخوة، والتواضع، وترك العصبية الجاهلية. فلا يليق بالحاج بعد أن رأى وحدة المسلمين في الحج أن يعود إلى التعصب المذموم للعرق، أو اللون، أو البلد، أو النسب، أو الرأي. بل ينبغي أن يكون داعيًا إلى الألفة، حريصًا على جمع الكلمة، محبًا للخير لجميع المسلمين، نابذاً لكل ما يُفضي إلى الفرقة والخلاف، ومتمسكًا بما يجمع الأمة ويقوّي وحدتها.

٧- الاعتصام بكتاب الله:

وقف النبي ﷺ في حجة الوداع وأوصى الأمة بأعظم وصية، فقال: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللهِ» رواه مسلم.

فبعد الحج، اجعل القرآن رفيقك الدائم: اقرأه، وتدبر معانيه، واعمل به، واجعله حاكمًا على أخلاقك وقراراتك وعلاقاتك. فمن تمسك بكتاب الله،

وجد فيه الهداية عند الحيرة، والطمأنينة عند الاضطراب، والبصيرة عند الفتن.

وليس المقصود بعد الحج أن تبقى الذكريات في الصور والمشاعر فقط، بل أن يبقى أثر القرآن والطاعة في القلب والسلوك.

٨- الاستقامة على السنة:

وفي حجة الوداع أوصى النبي ﷺ الأمة بأعظم وصية بعد كتاب الله بالأخذ بسنته فقال: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ» رواه مسلم.

وقد امتثل الحاج أمر النبي ﷺ في المناسك، فطاف وسعى ووقف ورمى كما شرع الله وابتعد عن محظورات الإحرام. ومن تمام هذا الاتباع والطاعة أن يستقيم المسلم بعد الحج على هدي النبي ﷺ في عباداته وأخلاقه ومعاملاته.

فالاستقامة بعد الحج تعني المحافظة على الصلاة، وصدق الحديث، وبر الوالدين، وأداء الحقوق، وحسن التعامل، وترك المعاصي، والحرص على الحلال.

ومن أجمل ثمار الحج أن يخرج الإنسان منه أكثر حبًا للسنة، وأشد حرصًا على الاقتداء بالنبي ﷺ في حياته كلها.

٩- الدعوة إلى الله والسفير الصالح:

وفي حجة الوداع حث النبي ﷺ على الدعوة إلى الله تعالى، فقال: «فَلْيُبَلِّغِ

الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» رواه البخاري.

وهذه وصية عظيمة في تبليغ الخير ونشر العلم والهدى. والحاج بعد عودته يستطيع أن يكون سببًا في هداية غيره، لا بكثرة الكلام فقط، بل بحسن الخلق، والصدق، والأمانة، والرحمة، والتواضع.

فليكن الحاج قدوة صالحة في أسرته ومجتمعه، وليدعُ إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وليحرص على تعليم الناس أصول الإيمان، ومعاني التوحيد، وأركان الإسلام، ومحاسن الشريعة، بأسلوب رحيم واضح يناسب عقولهم وأحوالهم.

١٠- الاستعداد للقاء الله وتذكر الآخرة:

أيها الحاج: الحج يذكّر المسلم بالآخرة: فاجتماع الناس يذكّر بالحشر، والوقوف بعرفة يذكّر بالوقوف بين يدي الله، ولباس الإحرام يذكّر بالتجرد من الدنيا، والحاجة إلى رحمة الله، قال سبحانه في آيات الحج: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة: ٢٠٣]. والنبي ﷺ في حجة الوداع كان يودع الناس ويقول: «فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» رواه مسلم.

وهذا يذكّر المؤمن بأن العمر قصير، وأن الفرص لا تتكرر دائمًا، وأن العاقل من استعد للقاء الله بالتوبة الصادقة والعمل الصالح ورد الحقوق إلى

أهلها.

فليجعل الحاج من حجه بداية استعداد دائم للآخرة، وليكثر من الدعاء: اللهم تقبل منا، واغفر لنا، وثبتنا على طاعتك حتى نلقاك.

نسأل الله تعالى أن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يغفر ذنوبهم، وأن يرزقهم الثبات بعد الطاعة، وأن يجعل حجهم بداية خير وبركة واستقامة.

كما نسأله سبحانه أن يرزق المسلمين حج بيته الحرام، وأن يجمعهم على الهدى والتقوى، وأن يجعلنا جميعًا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

s.islamenc.com

***